دور المثقفين العرب في أزمة الخليج

سعد الدين ابراهيم
عبد الحميد صفوت ابراهيم
مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية

مقدمة

لعب المثقفون العرب دوراً أساسياً في تعامل العقل العربي مع أزمة الخليج، وقد شغلت الأزمة جل اهتماماتهم وكتاباتهم على مدى زمن الأزمة منذ الثاني من أغسطس 1990 وحتى الثامن والعشرين من فبراير 1991.

إن الحديث عن دور المثقفين في أزمة الخليج لا ينصب فقط على كونهم مفسرين لأفعال الحكام ومواقفهم، وإنما يتجاوز ذلك إلى كونهم محرضين على هذه الأفعال سواء كانت من جانب مؤيدي العراق أو مؤيدي التحالف.

ويكتسب الخوض في هذا الموضوع أهميته من أن المثقفين رغم أنهم يرفعون دائماً شعارات العقلانية والموضوعية والتجرد، ويحرصون على ذكر كلمات العلمية والمنهجية مقدمات لازمة لكل فكرة أو رأي يقولونه، فإن هذه الأفكار والآراء قد تباينت وتناقضت للدرجة التي يستحيل معها الاقتناع بأنهم يسيرون وفق ما يقولون من منهجية وعلمية وموضوعية وغيرها من الأوصاف الشائعة، والحق أن مفهوم المثقف واسع جداً، ودوره في ظل السلطة الحاكمة في البلدان العربية متباين ومتناقض، كما أن مساحة فعالية المثقف بالنسبة لفعالية القوة العسكرية أو الأمنية في البلدان العربية قد ينحسر إلى أدنى حد، وقد يتسع إلى أبعد الحدود، ولحسن الحظ إن أزمة الخليج تميزت باتساع الدور الذي يلعبه المثقف في الوطن العربي نتيجة المفاجأة التي فجرها الغزو العراقي، والغموض الذي أحاط بالدور الذي يفترض أن تقوم به الأنظمة العربية، مما جعلها تعطي هذه المساحة الأوسع لدور المثقفين بها.

وعلى ما تقدم، فإننا سنستعرض هذه الدراسة حسب العناصر التالية: (1)

السلطة مع حرصه على المساومة بتغيير الآراء في حالة تحقيق شروط خاصة لمصلحته الذاتية. يضيف السيد يس نوعاً آخر من المثقفين لا ينتمون لسلطة الدولة التي يتجنسون بجنسيتها، وإنما يمارسون أعمالهم الانتقادية والتوجيهية كمثقفين لصالح سلطة أخرى في إحدى الدول البترولية الغنية أملاً في إغداق الهدايا والرواتب عليهم، وهم ليسوا من الصنف الانتهازي، لأنهم ذوو مواقف حادة قاطعة في جانب سلطات هذه البلاد سواء كانوا يعملون في بلادهم الأصلية، أو في بلدان النفط، وقد أطلق عليهم السيد يس لفظ «مثقفون مدجنون»[3].

حسب موقفه الفكري: يمكن حصر أبرز الاتجاهات الفكرية التي تدور حولها كتابات المثقفين في: الاتجاه القومي الوحدوي، الاتجاه الاسلامي، الاتجاه الليبرالي، الاتجاه الماركسي الاشتراكي. ومن الصعب تصنيف المفكرين حسب هذه الاتجاهات الفكرية؛ وذلك لأن للمثقف الحرية في أن يميل إلى أحد الاتجاهات مع تأثره باتجاه آخر، مثل الاشتراكي الديموقراطي، أو الإسلامي الليبرالي، كذلك ونظراً لأن كل مثقف لا يضع لافتة باتجاهه الفكري على ما يقوله، فمن الصعب تصنيف المثقفين حسب اتجاهات فكرية خالصة، ولكن يمكن تصنيف الكتابات حسب هذه التصنيفات. من جهة أخرى يمكن تصنيف الاتجاهات الفكرية إلى اتجاهات راديكالية، أي ثورية أو جذرية، واتجاهات معتدلة أي تراعي جميع المتغيرات والقوى المحيطة في قراراتها أو مواقفها. وهناك تصنيف ثالث للاتجاهات الفكرية هو السلفي أو الأصولي، الغربي، والاتجاه المستقل عن كليهما (الجابري، 1992 :124 -125). ويسعى أصحاب الاتجاه السلفي إلى الاستقلال عن ثقافة الغرب، وتطوير ثقافة إسلامية تتوقف عن الحوار مع غيرها من الثقافات. ويرون في ذلك تحقيقاً للأصالة التي هي شرط للتقدم[4]. وأما الاتجاه الثاني فهو اتجاه التغريب، والذي يسعى إلى تأكيد أنماط الفكر الغربي، واستبدالها مكان تاريخنا العربي، ويقف الاتجاه الثالث وسطاً بينهما (وجيه، 1992 :185)، أو مستقلا عنهما (الجابري 1992:124-125) وهناك تصنيف آخر لمواقف المثقفين دون تمييز بين اتجاهاتهم الفكرية، وهو نوع من التشخيص لإشكاليات لغة التفاوض أو لغة الحوار بين المفكرين أسماها السيد يس اغتصاب اللغة (يس 1992ب)، وكانت محاولة «حسن وجيه» أكثرها شمولية حيث أمكنه التوصل إلى 24 نمطاً من أنماط عيوب اللغة التي يستخدمها المثقفون في الحوار مع الآخرين (وجيه، 1992). ومع تسمية المؤلف لهذه الأنماط الأربعة والعشرين بأنها أخطاء في اللغة المستخدمة، فإنها

أن هذه الدراسة تعتمد في مصادرها على دراسة موسعة يجريها حالياً مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية بالقاهرة وعنوانها «تحليل مضمون الفكر العربي حول أزمة الخليج». وتم بعد الاطلاع على المصادر استنتاج أهم ما يميز آراء المثقفين في مراحل الأزمة، فهذه الدراسة تستخدم التحليل الكيفي في التوصل إلى نتائجها. ولا يمكننا الزعم أن ما اطلعنا عليه يمثل فكر المثقفين العرب بصورة دقيقة، وذلك لأن ما نعتمد عليه هو ما ينشر في الصحف أو الكتب، وهناك وسائل غير ذلك في التعبير مثل الخطابة المباشرة وغيرها من وسائل الاتصال غير الموثقة، والتي لا تشملها هذه الدراسة.

نتائج الدراسة

أولا: دور المثقفين في التمهيد للأزمة: الأمر المؤكد أن الأفكار التي اعتمد عليها النظام العراقي في غزوه للكويت لم تكن جديدة، بل سبق أن ظهرت في شكل آراء أو نظريات لمثقفين من انتماءات مختلفة، وسواء كانت هذه الأفكار هي دافع العراق لما قام به اقتناعا بها، أو كانت مجرد تسويغ لعمل قام به لدوافع أخرى، فإن هذه الأفكار كانت من العوامل المباشرة لغزو العراق للكويت .

(1) رفع الفكر القومي الوحدوي، ممثلاً في حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي ينتمي إليه النظام العراقي الحاكم شعاره الوحدة، الحرية، الاشتراكية، فنظر إلى الوحدة كقضية سابقة على التحرر والاشتراكية، ومن هذا المنطلق نظر المنتمون لهذا الاتجاه إلى الحدود بين الدول العربية باعتبارها من صنع الاستعمار، تهدف إلى تفكيك أوصال الأمة العربية، وإن تجاوز هذه الحدود هو الأمل في خروج الأمة العربية من سباتها.

أ ـ والأنظمة العربية التي تقبل هذه الحدود وتتمسك بها هي أنظمة ـ في رأيهم ـ عميلة للاستعمار (أومليل، 1991 :141)، وهي أدواته لتكريس التفرقة والعزلة، لذلك فالحوار معها غير مُجْدٍ لأن نواياها الخبيثة سوف تعرقل أي وحدة بالطرق السلمية، كما أنها تضيع ـ في رأيهم ـ الثروة البترولية في ما لا يفيد الأهداف القومية.

ب ـ والنظم الوحدوية القومية في رأيهم هي نظم ثورية تسعى إلى حلول جذرية، ولا تهادن الأنظمة الرجعية ولا تقبل معها الحلول الوسط.

ج ـ كما أن هذه النظم الثورية الوحدوية كما يرون هي نظم ذات مبادىء وفكر

يشوبها النظرة المنحازة ضد العرب، فلا مواجهة لإسرائيل بالحزم الكافي في امتلاكها للقنبلة الذرية، أو تطويرها لتكنولوجيا الدمار الشامل، ولا حزم معها في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن ضم أراضي العرب، أو بناء المستوطنات، أو حقوق الإنسان الفلسطيني.

ب ـ يقوم هذا الفكر أيضاً على أهمية الديموقراطية، وفي هذا الصدد نجد أن عدداً كبيراً من الدول العربية لا تسير نظم الحكم فيها حسب المبادىء الديموقراطية، وقد وجه الليبراليون انتقادات لكل من الأنظمة الثورية والأنظمة الملكية (النقيب، 1991) بسبب ممارساتهم غير الديموقراطية، وكانت هذه الانتقادات مادة للمعارك التي دارت بين طرفي الصراع في الخليج، كما وجهوا انتقادات للديموقراطية الغربية بسبب اقترانها بالغزو واستغلال شعوب دول العالم الثالث (خوري، 1991 :42).

ج ـ يقوم الفكر الليبرالي على أهمية حقوق الإنسان، مثل حقه في المعاملة الإنسانية، وحقه في المشاركة السياسية، وفي ضمان الحد الأدنى من الرفاهية، وكانت الانتقادات الموجهة نحو الغرب مثل تأييده لجنوب أفريقيا وإسرائيل، وظهور موجات التذمر من جانب السود في أمريكا ضد انتهاكات حقوقهم الإنسانية، كذلك تصرفات الغرب نحو الدول العربية مثل ضرب ليبيا ولبنان، وعدم مساندة الحقوق الإنسانية للشعب الفلسطيني، وعدم معاونة الدول الأفريقية عند مواجهتها لخطر المجاعة والجفاف، كل ذلك كان مادة اعتمد عليها العراق في صراعه مع الغرب.

د ـ يهتم الفكر الليبرالي بالتعددية، وعدم الانفراد بالقوة حتى لا يطغى القويُّ على الأضعف منه، ولذلك فهو ينظر بتحفظ إلى خطورة انهيار الاتحاد السوفيتي على التوازن العالمي، كما يجزم هذا الاتجاه الليبرالي بأنه لو ساد الطرف الأمريكي وحده فسوف يكون ظالما مستبدا.

(4) رغم انهيار الاتحاد السوفيتي والشكوك القوية الموجهة إلى النظرية الماركسية التي قام عليها هذا الاتحاد فإن عددا من المصطلحات والمفاهيم النابعة عنها ما زال مؤثراً على فكر بعض المثقفين:

أ ـ صاغ الفكر الماركسي مفهوم الامبريالية العالمية على أنه بديل اقتصادي للاستعمار التقليدي العسكري، والإمبريالية هي الاحتكارات الاقتصادية لمصادر الانتاج والتوزيع بأشكال مختلفة، مثل الشركات متعددة الجنسيات، وتوزيع العمل

شعورهم بأن الأصالة العربية باتت في المغرب العربي بسبب غرق دول المشرق في بحور الدولارات البترولية (سعدي، 1991 :151)، كما أن تجاربهم المريرة مع الاستعمار الفرنسي في الجزائر والمغرب وتونس كانت دافعا للاستعداد لمساندة أية قوة تقف في مواجهة جيوش الغرب (سعدي، 1991). (9) هذا بالإضافة إلى المواقف الموضوعية للمثقفين العرب من أخطاء فعلية ارتكبها الغرب ضد العرب والمسلمين، مثل التأييد المطلق لإسرائيل، وضمانات التفوق العسكري لإسرائيل على جميع الدول العربية، وتشجيعها على إنتاج أسلحة الدمار الشامل، وتشجيعها ضد الانتفاضة الفلسطينية، ومواقفها من تدمير المسجد الأقصى.

ثانيا: دور المثقفين في أثناء الأزمة :لم تكن الفترة بين 2 أغسطس و 16 يناير 1991 واحدة في مواقف المثقفين من الأزمة، إذ تطورت مواقفهم حسب تطورات الموقف.

المرحلة الأولى: هي التي تقع بين 2 أغسطس، وهو تاريخ الغزو إلى 10 أغسطس (تاريخ صدور قرار مؤتمر القمة العربي بالقاهرة بإدانة الغزو). في هذه الفترة كان الهاجس الذي يشغل الجميع هو محاولة حل المشكلة بالتفاهم بين أطراف النزاع، ومحاولة إرضاء العراق، وتهدئة مواقفه المتشددة، ومحاولة إثارة القضايا التي تقرّب وجهات النظر بين الأطراف. وكان الاتفاق بين المثقفين العرب على اختلاف مواقفهم أكثر من أية مرحلة تالية، وذلك على الأسس التالية:

(1) التركيز على خصوصية العالم العربي في مواجهة مشكلاته. (نعمان، 1991). (2) الخوف من التدخل الأجنبي. (3) التركيز على أهمية التفاوض. (4) القناعة بعدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة. (5) التناول الانفعالي للأحداث على أساس المشاعر والآلام والإحباطات.

لكن ذلك لم يمنع من مواقف متميزة لكل من الاتجاهات الفكرية التي اتخذها المثقفون:ـ

1 ـ أ ـ **قلل أصحاب الفكر القومي الوحدوي** من شأن اتهام العراق بالغزو باعتباره تحقيقا لأحلامهم في الوحدة العربية[6]. ب ـ وقللوا من شأن المعاملة غير الإنسانية للكويتيين بتذكير الجماهير بما فعله الأبطال القوميون من بطش واستبداد لتحقيق غاياتهم في الوحدة والعدالة[7]. ج ـ وقللوا من شأن نظام الحكم في دولة الكويت باعتباره عائقا ضد الوحدة ـ في رأيهم ـ ومدعوما من الاستعمار،

البحرية، وأن الامبريالية الأمريكية مصممة على الإدارة المباشرة لمنابع البترول كوسيلة للتحكم في اقتصاديات العالم، وذلك عن طريق الاحتلال المباشر لمنطقة الخليج.

المرحلة الثانية: بعد نهاية مؤتمر القمة العربي 880 إلى بداية العمليات العسكرية في 1991/1/16. بدأت هذه المرحلة بعد الانشقاق الذي حدث في مؤتمر القمة العربي، وصدور قرار بإدانة الغزو العراقي للكويت بأغلبية ضئيلة مع فتح الباب للاستعانة بقوات أجنبية لمعاونة دول الخليج في مواجهة العدوان العراقي. وكانت هذه الفترة هي أكثر فترات الأزمة نشاطا وفعالية، وذلك بسبب الأحداث المتلاحقة، وأهمها قرارات مجلس الأمن بمقاطعة العراق اقتصاديا وعسكريا، وقراره بإنهاء الاحتلال بالقوة وحضور القوات المشتركة وعلى رأسها الولايات المتحدة بكثافة عالية إلى السعودية وباقي دول الخليج، هذا بالإضافة إلى المبادرات المتلاحقة من جانب العراق، والأردن، واليمن، وفلسطين، وتونس والمغرب ومصر، وكلها تسعى إلى طرح رأيها في حل المشكلة من زاوية تختلف عن الزاوية التي تتناولها المبادرات الأخرى. لقد أدّى صدور الإدانة الدولية للعراق على احتلالها لدولة الكويت وباقي القرارات العقابية المترتبة على ذلك بما فيها قرارات التدخل العسكري، إلى حالة من الاستقطاب الشديد بين المواقف من العراق. فلم تعد القضية متعلقة بالكويت، من وجهة نظر مؤيدي العراق، بل أصبحت القضية مواجهة بين قوة عربية أو إسلامية في رأيهم، وقوة أجنبية هي الولايات المتحدة. من جهة أخرى فقد أدى تواجد القوات الأجنبية والصورة التي نجح الإعلام العراقي في تصويرها به باعتبارها جاءت لتحمي الحرمين الشريفين، وتدنس طهارتها بالكثير من معارضي غزو الكويت إلى التحول للتعاطف مع العراق باعتبارها تواجه الاستعمار الجديد والعدو الأكبر للعالم العربي. ورغم كل هذا الانشقاق فقد اتفق المثقفون ـ شأن غيرهم ـ على رأي وحيد هو ضرورة تقليل خسائر العراق أثناء مواجهته لدول التحالف وللمقاطعة الاقتصادية العالمية، وذلك من خلال التعاطف مع مأساة نقص ألبان الأطفال العراقيين، ونقص الأدوية والمعونات الانسانية.

ونناقش فيما يلي مواقف الاتجاهات الفكرية المختلفة للمثقفين إزاء الأزمة في هذه المرحلة الخلافية.

(1) الاتجاه القومي الوحدوي: أ ـ أثار الوجود العسكري الغربي في

على ازدواجية الشرعية الدولية في المعاملة المتسامحة مع إسرائيل، مقابل المعاملة المتشددة مع العراق، وأن الشرعية الدولية ما هي إلا شرعية أمريكية لهيمنتها على مجلس الأمن.

د ـ إعادة توزيع الثروة: رَأَى التيار القومي أن إعادة توزيع الثروة بين الدول العربية هو أمر تحتمه ضرورات المشروع القومي الوحدوي، والذي لا يعترف بالحدود المصطنعة بين أبناء الأمة الواحدة.

(2) الاتجاه الاسلامي:ـ أثارت قضايا هذه المرحلة من الأزمة بين مثقفي الاتجاه الاسلامي عدة موضوعات خلافية وهي:ـ أ ـ مشروعية مجيء قوات أجنبية: نتيجة القبول الواسع الانتشار للتصوير العراقي لقوات التحالف على أنها قوات مشركة جاءت لتدنيس الحرمين الشريفين، ولضرب المسلمين في العراق، رأى البعض أن الاستعانة بالقوات الأجنبية لا يجوز شرعا، وأن استدعاء القوات الأجنبية الصليبية[10]، وتمكينها من تدمير القوة العسكرية الإسلامية هي جريمة لا يغفرها الإسلام.

رأت جماعة أخرى من المثقفين الإسلاميين ضرورة مواجهة الفئة الباغية من المسلمين[11]. وأن يتخذ المسلمون (على سبيل الضرورة) كل ما في وسعهم من وسائل بما فيها القوات الأجنبية لدرء المعتدي[12]، والعراق في رأي أصحاب هذا الاتجاه أشد خصومة للاسلام، وأكثر حربا على أهله بما اقترفه من جرائم بشعة ضد مسلمي الكويت والعراق، وبما يحمله من أفكار بعثية وقومية وعلمانية لا يقرها الدين الحنيف[13]. وقد اتفق المفكرون الإسلاميون مع القوميين في نظرية المؤامرة العالمية، وتأثرت كتاباتهم بهذه المقولة التآمرية فأقامت كتابات كثيرة مسلماتها على المؤامرة على الإسلام وحاولت انتقاء الدلائل على صحة استنتاجاتها وضرورة إعطائها الأولوية على سائر القضايا الأخرى كاحتلال دولة الكويت، ومرة أخرى اتخذ أصحاب هذا الاتجاه من مجيء القوات الأمريكية مسوغاً لتأكيد الفكرة التآمرية.

ب ـ الموقف من توزيع الثروة، وافقت اعداد كبيرة من المثقفين الإسلاميين على ما طرحه المعسكر العراقي من ضرورة توزيع الثروة الإسلامية بما يتفق مع المصالح الإسلامية العليا، وأن للمسلمين الحق في الأموال البترولية حسب قاعدة زكاة الركاز[14]. كانت الحجج المقابلة على الجانب الآخر من أصحاب الاتجاه الديني، هي أن ما دفعه الخليجيون وعلى رأسهم الكويت والسعودية لدعم التنظيمات الاسلامية في العالم يفوق بكثير ما دفعه غيرهم[15]. هذا

الوقائع، ولنأخذ مثالا لذلك وهو أنه بمجرد بدء العمليات، أطلق عدد من الكتاب عليها اسم أم المعارك مستخدمين في ذلك تعبير صدام حسين، وذلك باعتبارها المعركة الفاصلة بين العرب والقوى الامبريالية. وتزامنت مع تتابع الأحداث العسكرية مواقف للمثقفين أقرب إلى توقع تحقق الأحلام في القريب العاجل منها إلى استقراء الوقائع، سواء ما كان منها في الجانب العراقي أو في الجانب الكويتي، وتميزت الاستجابات عموما بالتفكير الراغب Wishful Thinking حيث فسر كل طرف توالي الأحداث باعتبارها تحقيقا لتوقعاته أو آماله، واستمر ذلك حتى لحظة إعلان العراق إذعانها لقرارات مجلس الأمن. ويمكن القول أنه لم تظهر قضايا إضافية في أثناء فترة القتال، عدا تأكيد أنصار التفكير التآمري على صحة وجهة نظرهم في أن أمريكا لم تكن تهدف إلى تحرير الكويت بل إلى تدمير حضارة العراق ومؤسساته وبنيته الأساسية. لهذا عرقلت الوصول إلى حل سلمي وسارعت بالحرب قبل إمكان التوصل إلى حل للأزمة. وقد حاول المثقفون الإسلاميون والقوميون خاصة في دول المغرب مساندة العراق أثناء الأزمة، وذلك بدعوة الجماهير إلى التبرع لصالح العراق والمشاركة في صفوف المقاتلين، وقامت بناء على ذلك مظاهرات شعبية مؤيدة للعراق كان من نتيجتها تذبذب مواقف عدد من الحكومات واضطرارها للتأكيد أن قواتها لن تشارك في ضرب العراق، بل في تحرير الكويت. وحينما ظهرت النتائج النهائية يوم 26[2]1991 أكد المثقفون على سلامة مواقفهم سواء أكان تأييدا للعراق أم وقوفا ضده، وظلت الخلافات بينهم حول المنتصر في هذه الحرب، وهل يمكن أن يكون مجرد الصمود في وجه أمريكا والغرب لمدة 40 يوما، هل يمكن أن يكون ذلك بطولة، أو نصراً، وهل يمكن أن ننسحب «منتصرين»[16] على حد قول الرئيس العراقي؟ وهل يمكن أن نهتف للنصر يوم الهزيمة؟.

خاتمة

تجاوز دور المثقفين في أزمة الخليج حدود الشرح أو التسويغ إلى آفاق التأثير والمشاركة في اتخاذ القرار، وقد رجع ذلك إلى الحادثة غير المسبوقة باحتلال دولة عربية لدولة أخرى مما جعل المجال مفتوحا للاجتهادات. وقد وصل تأثير المثقفين إلى درجة تغيير بعض الأطراف العربية لموقفها مثل دور المغرب العربي، وأعلنت مصر وسوريا أن قواتهما لن تدخل الأراضي العراقية دفعا لتهمة تجاوز تحرير الكويت إلى التآمر على العراق، وفيما يلي بعض السمات التي حكمت فكر المثقفين أثناء الأزمة:

الاتجاهات الفكرية وخصوصا الراديكالية منها مواقفهم على الإيمان التام بأن أي خطر مهما كان واضحا وصريحا من أخ عربي شقيق، سيكون أهون وأقل شأنا من الاستعانة بالأجنبي، وثارت في ذلك حجج كثيرة قامت على التفكير التآمري، وعلى اجترار ذكريات معممة عن الاستعمار ونواياه الخبيثة الهادفة إلى تدمير الأصالة العربية والإسلامية، وواقع الأمر أن الذبح هو الذبح، وأن العدوان من دولة عربية ووحشية المعاملة لا تختلف عن نظيراتها من الدول الأجنبية إن لم تكن أسوأ لاقترانها بخيانة المبادىء المشتركة.

و ـ حدود مصطنعة لا احترام لها: أقام الكثير من المثقفين حججهم في تأييد العراق على هذه الفكرة، ورغم ظهور الكثير من شواهد الاستقلال والتمايز بين العرب على أساس هذه الحدود وفي ظل وجودنا في عالم لا يمكننا الانفصال عنه، فقوانين هذا العالم تؤكد على حق كل دولة في تقرير مصيرها داخل حدودها لذلك فقد «فوجىء» كثير من المثقفين المنحازين لهذه الفكرة برفض العالم كله، وبعض العرب ـ قبول غزو دولة لدولة أخرى، ورفض كل ما يترتب على هذه الفكرة من توزيع الثروة العربية على جميع العرب، والتخلص من حكام بعض الدول؛ لأنهم لا يعجبون دولا أخرى، ويبدو أن محاولة المثقفين العرب البحث عن هويتهم المتميزة دفع ببعضهم إلى رفض جميع الأسس التي تقوم عليها الشرعية الدولية.

ز ـ العرب خارج نواميس النظام العالمي: تصور كثير من المثقفين العرب أن ما ينطبق على العالم من قوانين، لا ينطبق عليهم أو على أمتهم، وأن الفكرة طالما هم مقتنعون بها لابد أن يقتنع بها الآخرون في الوقت نفسه، فهم بذلك ليسوا في حاجة إلى مراعاة الأوضاع الدولية، بل على العكس يستطيعون تغييرها، أو تحديها على الأقل، ونضرب لذلك مثالا بتصور إمكان أن تتحدى العراق قوات التحالف التي تضم ثلاثين دولة بعضها من أقوى دول العالم، وذلك انتظارا لمعجزة تفوق كل الحسابات الموضوعية، وكذلك محاولة مؤيدي العراق تحدي القوانين الدولية، واقناع الجماهير بعدم احترامها، وقد رأينا الولايات المتحدة قبل أن تقدم على ما فعلته تحاول أن تفعل ذلك في ظل الشرعية الدولية وذلك بإصدار القرارات الدولية اللازمة، وتجميع قوات متحالفة من ثلاثين دولة منها مسلمون وعرب.

(2) بعض المسلمات في الفكر العربي: أ ـ العاطفة أهم من العقل: ـ

وهي الغزو العراقي لدولة الكويت.

هـ ـ أسباب مشكلاتنا دائما هي التآمر علينا من الأعداء:ـ رغم موضوعية بعض دلائل التآمر علينا من الخارج، فإن هناك دلائل أكبر على تآمرنا على أنفسنا، وأهم هذه الدلائل هو التمسك بأن هناك قوى تخطط في الخفاء ضد أمتنا العربية والإسلامية، فهذا الأسلوب في التحليل يصرف النظر عن أخطائنا، وبالتالي يقلل من إمكانية التطوير المستمر لفعالياتنا بالاستفادة من خبراتنا السابقة. فاستمرار المثقفين في التمسك بالمؤامرة الاستعمارية على العرب ـ مثلا ـ سيظل عقبة في سبيل تفحص أسباب هذه الأزمة من عيوب في الفكر وفي الممارسة تسببت في مثل هذه الكوارث، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه يقلل من شعورنا بالمسؤولية عن أخطائنا، بحيث يستمر المخطىء دون حساب طالما أنه «وقع في فخ نصبه الأعداء» أو كان ضحية «إيحاءات أمريكية بالضوء الأخضر». كما أنه يقلل أيضاً من شعورنا بالانتصار عند تحقيق أهدافنا طالما أننا ألعوبة في يد القوى الخارجية، ولعل هذا هو السبب في شعور بعض الدول في منطقة الخليج بالافتتان بالأجنبي، وتصويره على أنه نموذج البطل في الخيال الحديث.

و ـ افتراض الإحباط ـ العدوان: يقول فاروق أبو عيسى «ثمة شيء ما في بنية العقل والثقافة والمجتمع، ونمط العلاقات في المجتمع يجعل لجوء الفقراء إلى العنف لتحقيق الأهداف السياسية أمراً أقرب إلى المنال» (أبو عيسى، 1987) ويبدو أن تفسيرات كثيرة لدوافع هذه الحرب قامت على هذا الافتراض، إن الإحباط يسوغ ويدفع إلى العدوان، بحيث تقع المسؤولية على مصدر الإحباط، وليس على القائم بالعدوان. وبالطبع فمن السهل إسقاط مشاعر الإحباط تجاه أيّ شخص دون الحاجة إلى إثباتٍ أو تحقيق، وبالتالي يكون لنا الحق في عقابه بناء على تخيلاتنا القائمة على أساس غير سليم.

والخلاصة ان طريقة مثقفينا في اعتبار العواطف مسوّغ للسلوك هي السبب في اعتقادهم بمشروعية العدوان العراقي ضد الكويت طالما شعر أنها مصدر لإحباطاته.

ز ـ الخطأ السابق يسوّغ مشروعية الخطأ الحالي:ـ أقام كثير من المثقفين حججهم في تأييد صدام حسين أنه فعل ذلك مثلما فعلت إسرائيل في جنوب لبنان، ومثلما فعلت أمريكا في نيكاراجوا، والدليل على ذلك أن مبادرته بالانسحاب من الكويت اشترطت انسحابا من جميع الأطراف الغازية، وهنا كان

1980. اتجاهات الرأي العام العربي نحو الوحدة العربية، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.

(10) حلل حسن وجيه هذه المقولة بالتفصيل وأوضح أنها قامت على ترجمة غير دقيقة لتعبير أجنبي يستخدم بمعنى مهمة وليس صليبية. أنظر حسن وجيه، 1992 أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي، القاهرة، دار ابن خلدون. ص 166.

(11) سورة الحجرات، الآيات 9 - 10.

(12) بيان هيئة كبار العلماء بالسعودية، في التقرير الاستراتيجي العربي 1991، القاهرة مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام 1992.

(13) التقرير الاستراتيجي العربي 1991. ص 304.

(14) المرجع السابق.

(15) المرجع السابق ص ص 360 - 361.

(16) بيان الرئيس العراقي يوم 1991/2/26.

المصادر العربية

أحمد يوسف أحمد

1991 الحركة القومية العربية وضرورة مراجعة الذات في: أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

الياس خوري

1991 الاستقلال والديمقراطية في: أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

برهان غليون

1991 تعليق: في أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

حسن وجيه

1992 أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي، القاهرة، دار ابن خلدون.

خلدون النقيب

1991 العناصر البنائية الدائمة في حرب الخليج، في: أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

سعد الدين ابراهيم

1992 الخروج من زقاق التاريخ. القاهرة، دار ابن خلدون.